

باب

ذكر وفاة (١) النبي / ﷺ

١٠٢ ظ

روى وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبي رزین ، عن ابن عباس ، قال :
لما نزلت : (إذا جاء نصر الله والفتح - السورة (١) كلها) علم النبي - عليه السلام -
أنه قد نُعيّت إليه نفسه .

وسأل عمر ابن عباس عن هذه السورة ، فقال : يقول له : اعلم أنك ستموت عند
ذلك ، فقال عمر : لله درك يا بن عباس ، إعجاباً بقوله . وقد كان سأل عنها غيره من
كبار الصحابة فلم يقولوا ذلك

ثم لما دنت وفاته أخذته وجعه في بيت ميمونة ، فخرج إلى أهل أحد ، فصلّى عليهم
صلاته على الميت (٢) .

وكان أول ما يشكو في علته الصداع ، فيقول : وازأساه . ثم لما اشتد به وجعه استأذن
أزواجه أن يمرض في بيت عائشة ، فأذن له في ذلك . فمرض في بيت عائشة إلى أن مات
فيه ﷺ . وكان يقول في مرضه ذلك لعائشة : ما زلت أجد ألم الطعام الذي أكلته
بخير (٤) ، ما زلت تلك الأكلة تعاودني ، فهذا أوان قطعت أبهري (٥) . وأغمى عليه ،

(١) انظر في وفاة النبي ابن هشام ٢٩١/٤ ، ٢٩٨ ، وما بعدها وابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠ وما بعدها والبخارى
٩/٦ والطبري ١٨٣/٣ وابن حزم ص ٢٦٢ وابن سيد الناس ٣٣٥/٢ وابن كثير ٢٢٣/٥ .
(٢) هي آخر سور القرآن نزولاً على الرسول ، وفي بعض الأحاديث أنه قال للحبريل حين نزل عليه بها ، نعت إلى
نفسى فأجابه : وللآخرة خير لك من الأولى .

(٣) كأنما كانت هذه الصلاة بعد سبع سنين من موتهم وداعاً للأموات والأحياء معاً .
(٤) يشير إلى النشأة المشوية التي أطعمتها إياه امرأة سلام بن مشكم على نحو ما مر بنا في غير هذا الموضع .
(٥) الأبر : عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه . وكان بعض الصحابة مثل ابن
مسعود يرون أنه - صلى الله عليه وسلم - مات شهيداً .

فظنوا أن به ذات الجنب فلدوه^(١) . وكان/العباس الذى أشار بذلك ، فلما أفاق أنكر ذلك عليهم ، وأمر بالقصاص فى ذلك منهم - واستثنى العباس برأيه فلد كل من حضر فى البيت إلا العباس^(٢) .

وأوصاهم فى مرضه بثلاث : أن يُجيزوا الوفد بنحو مما كان يجيزهم به^(٣) وأن لا يتركوا فى جزيرة العرب دينين ، [قال] : أخرجوا منها المشركين ، والله الله [فى] الصلاة ، وما ملكت أيمانكم فأحسبوا إليهم . وقال : لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . وقال لهم : هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا . فاختلفوا وتنازعوا واختصموا ، فقال : قوموا عني ، فإنه لا ينبغي عندى تنازع . وكان عمر القائل حينئذ : قد غلب عليه وجعه ، وربما صح^(٤) ، وعندكم القرآن . فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله - ﷺ - وبين أن يكتب ذلك الكتاب ، لاختلافهم ولغظهم^(٥) .

وساراً فاطمة - رضى الله عنها - فى مرضه ذلك ، فقال لها : إن جبريل كان يعرض على القرآن كل عام مرة وإنه عرضه على العام مرتين ، وما أظن إلا أنى ميت / من مرضى هذا ، فبكت ، فقال لها : ما يسرك أنك سيدة نساء أهل الجنة ما عدا مريم بنت عمران ، فضحكت .

وكان يقول فى صحته : ما يموت نبي حتى يُخبر ويرى مقعده^(٦) . روته عائشة .

(١) لدوه : من اللد وهو وضع الدواء فى شق القم . وفى ابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ٣١ أنهم لدوه بالعود المسدى وبشيء من ورمس وقطرات زيت

(٢) ذكر السهيلي فى الروض الأنف ٢: ٣٦٩ أن ظاهر كلام ابن إسحق أن العباس كان حاضر الرسول ثم يقول : وفى الصحيحين أن رسول الله قال : لا يقبل أحد بالبيت إلا لد ، إلا عمى العباس فإنه لم يشهدكم . يقول السهيلي : وهذه أصح من رواية ابن إسحق .

(٣) أن يجيزوا : أن يعطوا من الجائزة ، وهى العطية .

(٤) صح : زال عنه المرض .

(٥) قال ابن حزم فى جوامع السيرة ص ٢٦٤ : لاشك فى أنه لو كان هذا الكتاب من واجبات الدين ولو ازام الشريعة لم يشته عنه كلام عمر ولا غيره . واستظهر ابن حزم أن يكون الكتاب الذى أراد الرسول كتابته هو استحلافه لآبى بكر لقوله لعائشة : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيتك فأكتب كتاباً وأعهد عهداً لتلا يتنى ممنن أو يقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر .

(٦) أى يجبر بين الحياة والموت ويرى مقعده من الجنة .

قالت : فلما اشتد مرضه جعل يقول : مع الرفيق الأعلى ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وقال حين عجز عن الخروج إلى المسجد : مروا أبا بكرٍ فليصل بالناس . وخرج يوما من أيام مرضه إلى المسجد تحطُّ رجلاه في الأرض ، يحمله رجلان أحدهما على الآخر العباس ، وقيل الفضل بن عباس .

وقال في مرضه : هربقوا^(١) على من سبع قَرب لم تُحلَّلْ أو كبتن^(٢) لعلِّي أعهد إلى الناس . فأجلس في مخضب^(٣) لحفصة ، ثم صبَّ عليه من تلك القرب ، حتى طفق يشير بيده أن حسبكم . ثم خرج إلى الناس فصلَّى بهم . وقد أوضحنا معاني صلاته في مرضه بالناس مع أبي بكر^(٤) ومكان المقدم منها وما يصحُّ في ذلك عندنا في كتاب التمهيد . وبالله توفيقنا .

وأصبح الناس يوما يسألون عليا والعباس عن / حال رسول الله ﷺ ، وقد اشتدت به الحال . فقال علي : أصبح بخير ، فقال العباس : ما الذي تقول ؟ والله لقد رأيت في وجهه من الموت ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ، ثم قال له : يا علي أذهب بنا نسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده . فكره علي ذلك ، فلم يسأله . واشتد به المرض ، فجعل يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات . الرفيق الأعلى ، فلم يزل يقولها حتى مات .

ومات ﷺ يوم الاثنين بلا اختلاف ، قيل : في وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتدَّ الضحى في صدر^(٥) ربيع الأول سنة إحدى عشرة لثمام عشر سنين من الهجرة . ودفن يوم الثلاثاء . وقيل : بل دفن ليلة الأربعاء . ولم يحضر غسله ولا تكفينه إلا أهل بيته . غسله علي ، وكان الفضل بن عباس يصبُّ عليه الماء ، والعباس يعينهم . وحضرهم

(١) هربقوا : أريقوا وصبوا

(٢) الأوكبة : جمع وكاء وهو رباط القرية .

(٣) المخضب : إباء كبير أو إجانة تغسل فيها الثياب

(٤) معروف أن الرسول عليه السلام صلى وراء أبي بكر في تلك الأيام صلاة تاممة ، وأنه خرج يوماً فصل بجانبه ، فتحون أبو بكر مأموماً يسمع الناس تكبيره .

(٥) قيل إنه توفى صلى الله عليه وسلم في أول يوم من ربيع الأول وقيل في اليوم الثاني منه ، وقيل بل في الثاني عشر ، وهو الأرجح

شُقْران مولاة . وقد ذكرنا في صدر كتاب الصحابة سؤاله في هذا المعنى .
ولم يصدّق عمر بموته ، وأنكر على مَنْ قال : مات ، وخرج إلى المسجد ، فخطب ،
وقال في خطبته : إن المنافقين يقولون إن رسول الله - ﷺ - توفي ، والله ما مات رسول
الله ﷺ ، ولكنه / ذهب إلى ربه كما ذهب موسى [عليه (١) السلام] ، فقد غاب عن
قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، والله ليرجعن رسول الله . كما رجع موسى ، فليقطعن
أيدي رجال وأرجلهم ، زعموا أن رسول الله مات (٢) .

ظ ١٥٤

وأنى أبو بكر بيت رسول الله - ﷺ - فكشف له عن وجهه ﷺ ، فقبله ، وأيقن
بموته . ثم خرج فوجد عمر [رضى الله عنه] يقول تلك المقالة ، فقال له : اجلس ، فأبى
عمر ، فقال له : اجلس ، فأبى . فتنحى عنه ، وقام خطيباً ، فانصرف الناس إليه وتركوا
عمر . فقال أبو بكر [رضى الله عنه] :

أما بعد فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ
لا يموت ثم تلا : (وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسلُ أفئن مات أو قُتل انقلبتم
على أعقابكم الآية) . قال عمر [رضى الله عنه] : فلما سمعتها من أبى بكر عرفت ما
وقعتُ فيه ، وكأنى لم أسمعها قبلاً .

ثم اجتمع المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فبايعوا أباً بكر رضى
الله عنهم (٣) أجمعين . ثم بايعوه بيعة أخرى من القدر على ملامتهم ورضاً . فكشف الله
به الكربة من أهل الردة ، وقام به (٤) الدين . والحمد لله رب العالمين .

كامل كتاب الدرر

بحمد الله وعونه

وحسن توفيقه

(١) زيادة من ر . وكذلك الزيادات التالية

(٢) انظر في عدم تصديق عمر بوفاة الرسول وخطبة أبى بكر في الناس وبيعة السقيفة صحيح البخارى ٦/٥
وما بعدها .

(٣) هكذا في ر وى الأصل : رضى الله عنه .

(٤) كتب مقابل النسخة بإزاء هذه العبارة : بلغ مقانة .